زانكۆی سەلاحەدین ـ هەولێر
Salahaddin University-Erbil

أصول التفسير ومناهجه

إعداد

مدرسة المادة

هاوژين محمد محمود

كلية العلوم الإسلامية/جامعة صلاح الدين

للسنة الدراسية

٢٠٢٢-٢٠٢٣م

أصول التفسير ومناهجه

أولاً: تعريف أصول التفسير:

- **الأصول لغة: جمع أصل ، والأصل في اللغة يطلق بإطلاقات متعددة ، وأهمها أمران هما:**

١. ما يبنى عليه غيره حساً أو معنى: فالأول كبناء السقف على الجدار ، والثاني كبناء الحكم على الدليل، فكل من الجدار والدليل أصل لأنه يبنى عليه غيره .

٢. منشأ الشيء: مثل القطن فانه أصل المنسوجات لأنها تنشأ منه .

الأصل في الاصطلاح : يطلق بإطلاقات أربعة هي:

١. الصورة المقيس عليها : كقولك الخمر أصل النبيذ, بمعنى أن ال الخمر مقيس عليها النبيذ في الحرمة

٢. القاعدة: كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : بني الإسلام على خمسة أصول ، أي على خمس قواعد أو ركائز ، ومنه قول الفقهاء بإباحة أكل الميتة للمضطر ، وهذا على خلاف الأصل ، أي على خلاف القاعدة

٣. الراجح : كالقول الأصل في الكلام الحقيقة ، أي الراجح عند السامع هو المعنى الحقيقي دون المعنى المجازي لعدم القرينة الدالة عليه.

٤. الدليل: كقولك الأصل في تحريم الربا قوله تعالى: (وأحل الله البيع وحرّم الربا) [البقرة:٢٧٥], والأصل في تحريم أكل أموال الناس بالباطل قوله تعالى : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)[البقرة:١٨٨]. أي أن الدليل على تحريم كل من الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، النص القرآني الذي يُعد دليل لكل من واحد من هذه الأمور.

التفسير لغة: مصدر فسّر ، وهو بمعنى الكشف والبيان والإيضاح ، ومنه قوله تعالى : (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) [الفرقان:٣٣] أي: بياناً وتفصيلاً.

قال أبو البقاء الكفوي: « التفسير: الاستبانة والكشف, والعبارةُ عن الشيء بلفظ أيسرَ وأسهلَ من لفظ الأصل».

التفسير اصطلاحاً: قال الزّركشي رحمه الله في " البرهان ": " هو علم يُفهم به كتاب الله المنزّل على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وبيان معانيه، واستخراجُ أحكامِه وحِكمِه ".

تعريف أصول التفسيرباعتباره مركّباً تركيبا إضافيّا

- هو الأسس والقواعد الّتي يُبنَى عليها علم التّفسير.
- هو العلم الّذي يضع القواعد والضّوابط للمنهج الأمثل لتفسير القرآن.
- عِبَارَةٌ عَنِ الأُسُسِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا المُفَسِّرُ لِاسْتِخْرَاجِ المَعَانِي القُرْآنِيَّةِ وَالأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي قَصَدَ إِلَيْهَا القُرْآنُ الكَرِيمُ عَلَى وَجْهِ الصِّحَّةِ وَالدِقَّةِ، مَعَ مَعْرِفَةِ الطُّرُقِ التِّي انْتَهَجَهَا وَسَارَ عَلَيْهَا المُفَسِّرُونُ الأَوَائِلُ فِي ذَلِكَ كَالصَّحَابَةِ رضيَ اللهُ عنهم وَغَيْرِهِمْ.

ثانياً: موضوعه-غايته- ثمرته- فضله –نسبته- اسمه- استمداده-

- موضوعه: هو القرآن الكريم من حيث بىان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه
- غايته: ضبط التفسير بوضع القواعد الصحيحة, والطرق السليمة والمناهج السديدة للتفسير’والشروط المحكمة والآداب الفريدة للمفسر.
- ثمرتُه: اجتناب الوقوع في الغلط و التّحريف في بيان مراد الله تعالى من كلامه.
- فضلُه: من أشرف العلوم لأنّه يتعلّق بكلام الله عزّ وجلّ.
- نسبتُه: من العلوم الشّرعيّة، وبالأخصّ: علوم القرآن.
- اسمُه: أصول التّفسير.
- استمداده: من كلام الله تعالى، وكلام رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وأقوال الصّحابة والتّابعين، وعلوم اللّغة العربيّة.
- حكم تعلّمه: الوجوب الكفائيّ على أهل كلّ ناحية، والعينيّ على المفسّر تأليفا أو تدريسا.

التأويل

- تعريف التأويل في اللغة: مصدر على وزن (تفعيل)، تقول: أَوَّل يؤَوَّل تأْويلاً, ومادة أوّل في استعمالاتها اللغوية تختلف إلا أن الظاهر فيها يرجع إلى معنيين: العودة والرجوع' والتفسير والبيان.

- تعريف التأويل في الاصطلاح: علمٌ يتم به حُسن فهم القرآن، وإزالةُ اللبس والإشكال عن بعض آياته، بردِّها إلى الغاية المرادة منها، وحملها على الآيات الأخرى الواضحة, التي لا لَبس فيها ولا إشكال، واستنباط لطائف الآيات ودلالاتها وحقائقها.

الفرق بين التفسير والتأويل:

اختلف العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل، وتعدّدت أقوالهم في ذلك، من أشهرها:

١ – التفسير والتأويل مصطلحان مترادفان بمعنى واحد، وهو تفسير القرآن الكريم وبيان معانيه، وهذا قول أبي عبيدة معمر بن المثنى، ومَن معه.

٢ – التفسير: بيان معاني القرآن من باب الجزم والقطع، لوجود دليل لدى المفسر، يعتمد عليه في الجزم والقطع.

والتأويل: بيان معاني القرآن من باب الاحتمال وغلبة الظن والترجيح، لعدم وجود دليل لدى المؤَوِّل يعتمد عليه في الجزم والقطع.

٣- التفسير: بيان معاني الألفاظ القرآنية الظاهرة.

والتأويل: بيان معاني الألفاظ القرآنية الباطنة، والإخبار عن حقيقة المراد بها.

٤- التفسير: فهم الآيات على ظاهرها، بدون صرفٍ لها عنه.

والتأويل: صرف الآيات عن ظاهرها إلى معنى آخر، تحتمله الآيات، ولا يخالف الكتاب والسنة.

٥ – التفسير: الاقتصار على الرواية والسماع، والاكتفاء بما ورد من أقوال مأثورة في تفسير الآيات.

والتأويل: استنباط المعاني والدلالات من الآيات عن طريق الدراية والتدبر وإعمال الفكر والنظر.

٦ – التفسير: بيان معاني القريبة التي تؤخذ من الآيات عن طريق الوضع واللغة، والمتعلقة بكلماتها وجملها وتراكيبها. والتأويل: بيان المعاني البعيدة التي تُلحظ من الآيات وتوحي بها الكلمات والجمل عن طريق الإشارة والإيماء.

نشأة علم التفسير وتطوره

مرت حركةُ التفسير بأربع مراحلَ متتالية، تميَّز التفسير في كلِّ واحدةٍ منها بمزايا خاصة. هذه المراحل هي:

أولاً: مرحلة التأسيس.

ثانياً: مرحلة التأصيل

ثالثاً: مرحلة التفريع

رابعاً: مرحلة التجديد

المرحلة الأولى: التأسيس

بدأت هذه المرحلة على يد رسول الله φ حيث كان أول من فسر القرآن الكريم، فرغم أنه لم يُفسره كاملا, لكنه فسَّر منه ما احتاج الصحابةُ إلى تفسيره وما سألوه عنه. ولهذا يُعتبر الرسول φ المؤسِّسَ الأول لعلم ِالتفسير. قال تعالى: ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) {النحل/٤٤}

امتدت هذه المرحلة على مدار القرون الخيرية الثلاثة الأولى، التي شهد له الرسول φ بالفضل والخيرية, جيل الصحابة ϖ، والتابعين, وأتباعهم.

قام الصحابة ϖ بعد رسول الله φ بتفسير القرآن الكريم، واشتهرت ثلاثُ مدارس للتفسير في زمنهم, وهي:

أولاً: مدرسة التفسير بمكة: تم تأسيسها على يد الصحابي الجليل عبدالله بن عباس χ، ومن تلاميذ هذه المدرسة مجاهد وسعيد بن جبير وطاووس وعكرمة وعطاء.

ثانياً: مدرسة التفسير بالمدينة: تأسست على يد أبي بن كعب χ، ومن أشهر رجال هذه المدرسة: أبو العالية رفيع بن مهران, ومحمد بن كعب القرظي, وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم.

ثالثاً: مدرسة التفسير بالكوفة: تأسست على يدِ صحابي عبدالله بن مسعود χ، ومن أشهر رجال هذه المدرسة: علقمة بن قيس ومسروق بن الأجدع والشعبي والحسن البصري وقتادة.

كان التفسير في مرحلة التأسيس يتصف بالإيجاز والاختصار, ولم يتم تفسير القرآن كاملا, وإنما كان المفسرُ يفسرُ الآيات التي يُسألُ عنها, أو التي تدعو الحاجة إليها. وقد برز في هذه المرحلة اتجاهان بارزان في التفسير:

- الاتجاه الأول: اتجاه التفسير بالمأثور: كان أصحابه يعتمد على إيراد الأقوال المأثورة في تفاسيرهم, من أحاديث مرفوعة للرسول صلى الله عليه وسلم, ومن أقوال للصحابة والتابعين.
- ومن التفاسير التي تمثل هذا الاتجاه: تفسير مجاهد، وتفسير قتادة، وتفسير سفيان الثوري, وتفسير حسن البصري.
- الاتجاه الثاني: الاتجاه اللغوي البياني: كان أصحابه يفسرون بعض كلمات القرآن تفسيراً لغويا, حيث كانوا يذكرون معنى الكلمة القرآنية, واشتقاقها وتصريفها, ويوردون الشواهد الشعرية على ما يذكرون.
- ومن التفاسير اللغوية التي تمثل هذا الاتجاه: مجازُ القرآن لأبي عبيدة مَعمَر بن المثنى، معاني القرآن للفراء، معاني القرآن للأخفش.

المرحلة الثانية: مرحلة التأصيل

بدأت هذه المرحلة في نهاية القرن الثالث للهجرة، وهذه المرحلة مبنية على ما قبلَها بناء سليماً, ومرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً. إذ تم في هذه المرحلة ترسيخ المنهج الأصيل لعلم التفسير، المنهج القائم على أسس وقواعد متينة، وهذه القواعد والأسس قعَّدت القاعدة الصلبة, التي أعقبت تأسيسَ ونشأةَ هذا العلم . وأرسى قواعد علم التفسير في هذه المرحلة إمام المفسرين محمد جرير الطبري، حيث جمع الطبري في تفسيره (الجامع البيان عن تأويل آي القرآن) بين المنهجين السابقين: المنهج الأثري، والمنهج اللغوي، وأضاف لهما استنباطاته وترجيحاته، لذلك يسمى منهجه بالمنهج الجامع في التفسير، لأنه جمع (الأثر واللغة والترجيح والاستنباط)

المرحلة الثالثة: التفريع/ التنويع

انتقل المفسرون بعد الطبري بالتفسير إلى خطوة ومرحلة أخرى، وهي الانطلاق من التأصيل إلى التفريع والتنويع.

لقد كان كلّ واحد من هؤلاء المفسرين يفسر القرآن وفق العلم الذي مهر فيه وغلب عليه، ظهرت التفاسير العقلية والتاريخية والفقهية والنحوية وغير ذلك.

وقد استمرت هذه المرحلةُ قرونا عديدة, من القرن الرابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر.

وقد ظهرت في هذه المرحلة عدةُ اتجاهاتٍ للتفسير, ومن أشهرها:

١. التفسير بالمأثور: (الدر المنثور في التفسير بالمأثور- للسيوطي)(فتح القدير- للشوكاني).
٢. التفسير البياني:(الكشاف- للزمخشري) (البحر المحيط –لأبي حيان الأندلسي) .
٣. التفسير العقلي: (مفاتيح الغيب-للرازي)(روح المعاني-للآلوسي).
٤. التفسير الفقهي: (أحكام القرآن للجصاص) (أحكام القرآن- لأبي بكر بن العربي).
٥. التفسير القريب من المنهج الجامع: (المحرر الوجيز في تفسير القرآن العظيم–للواحدي) (الجامع لأحكام القرآن,- للقرطبي).

المرحلة الرابعة: التجديد

بقي المفسرون منذ القرن الرابع للهجرة حتى القرن الرابع عشر يُفرّعون ويُنوِّعون في تفاسيرهم، حتى جاء العصر الحديث، الذي بدأ من بداية القرن العشرين الميلادي أو القرن الرابع عشر الهجري، تميّز التفسير في هذا العصر بمزية التجديد، لهذا أُطلق على هذه المرحلة اسم التجديد.

والمراد بالتجديد في التفسير: التجديد الصحيح السليم، المنضبط بالضوابط العلمية، الملتزم بالأسس المنهجية، التجديد القائم على الابداع والجدة، وإحسان تنزيلها على الواقع، ولا نعني بالتجديد الخروج على القواعد والضوابط والانفلات والفوضى والقول في كتاب الله بغير علم، وتحريف معاني الآيات لتوافق أهواء أهل الضلالة.

بدأت هذه المرحلة على يد الشيخ محمد عبده الذي أرسى معالمَ مدرسةٍ خاصةٍ في التفسير وفهم القرآن، أحدث هو وتلاميذه وفي مقدمتهم (محمد رشيد رضا) تجديداً في فهم القرآن وتفسيره.

- ومن أشهر التفاسير المعاصرة:
- في ظلال القرآن, سيد قطب
- تفسير القرآن الحكيم- تفسير المنار- محمد رشيد رضا
- التحرير والتنوير- ابن عاشور
- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن- محمد أمين الشنقيطي
- التفسير المنير- وهبة الزحيلي.

العلوم التي يحتاجها المفسر

إن العلوم الضرورية التي يحتاجها المفسر، والتي لا بدّ أن يكون مُلِمّاً بها، وهي:

١- العلم بالقرآن: على من أراد تفسير القرآن الكريم أن يكون عالماً به، يكثر من تلاوته، ويتقن أحكام ترتيله، ويعرف سياق موضوعات كل سورة منه، إن من أمضى مع القرآن سنوات عديدة من عمره، تلاوةً وتدبّراً وفقهاً وفهماً، يكون عالماً بالقرآن مؤهلاً لتفسيره.

٢ – العلم بالسنة: السنة مرتبطة بالقرآن ارتباطا وثيقاً، ولا بدّ لكل مفسر من أن يكون عالماً بالسنة النبوية والحديث الشريف، بأن يطلع على كتابٍ في علم مصطلح الحديث، وعلى كتابٍ في أصول تخريج الحديث وأحوال الرجال، وأن يطلع على أمهات كتب الحديث من الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات.

٣ – العلم بالسيرة وحياة الصحابة: السيرة النبويّة تفسير عملي من الرسول ﷺ للقرآن، لأنه ﷺ كان خُلُقُهُ القرآن، وكانت حياة الصحابة حركة عملية منهم بالقرآن، فلا بدّ لمفسر من أن يكونَ عالماً بالسيرة وحياة الصحابة.

٤ – العلم بتاريخ القرآن: أن يعلم المفسر الموضوعات والمباحث والمسائل المتعلقة بتاريخ القرآن، من حيث نزول جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ، وصور الوحي ومعانيه وحالاته، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والأحرف السبعة، وأسباب النزول.

وأن يعلم مراحل وكيفية جمع القرآن وحفظه وتوثيقه، زمن الرسول ﷺ وزمن أبو بكر الصديق وعثمان، ومزايا المصحف العثماني الإمام على المصاحف حتى قيام الساعة.

٥ – العلم بقواعد تفسر القرآن: على المفسر أن يكون عالماً بأصول فهم القرآن، وقواعد تدبّره وتفسيره، لأن تدبّر القرآن وتفسيره علم شريف أصيل، له قواعد ومبادئ وأسس، وله ضوابط وشروط، فإذالم يطّلع المفسر على قواعد فهم القرآن وأصول تفسيره، أخطأ في نظره له وحديثه عنه واستنباطاته منه.

٦ – العلم باللغة العربية: اللغة العربية لغة القرآن، وهي لغة جميلة راقية شاعرة، تقوم على أسسٍ في الاشتقاق والتصريف والمعنى. فلا بدّ للمفسر من أن يكون عالماً بهذه اللغة وفقهها واشتقاقها وتصريفها، ومطلعاً على أصول كلماتها، وجذور ألفاظها، ودارساً في أشهر كتب التي تخصصت في هذا.

٧– العلم بالنحو والصرف: العلم بالنحو والإعراب ضروري لحسن الكلام، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف وجوه الإعراب، لأن الإعراب تابع للمعنى، وكذلك العلم بالصرف وصيغ بناء الكلمة وتصريفاتها.

إن العلم بالنحو والصرف يقود المفسر إلى حسن فهم الجملة القرآنية، ومن حيث بناء كلماتها الصرفي، ومن حيث موقع كلماتها من الإعراب، وهذا يقوده إلى حسن فهم القرآن وتفسيره.

٨ ـ العلم بالبلاغة العربية: معلومٌ أن علوم البلاغة في اصطلاح البلاغيين ثلاثة: المعاني، البيان، البديع. وعلى المفسر أن يكون مطّلعاً على هذه العلوم البلاغية الثلاثة، عارفاً بمباحثها وموضوعاتها ومسائلها، وذلك ليتعرف على ألوان وآفاق البلاغة القرآنية المعجزة.

٩ ـ العلم بالقراءات القرآنية: لا بدّ للمفسر من أن يتقنَ تلاوة القرآن، مراعياً أحكام الترتيل النعروفة، بأن يتلقى أحكام الترتيل وتطبيقها من إمامٍ متقن للترتيل، ومعلومٌ أن الترتيل لا يؤخذ إلا بالتلقي المباشر من عالم متقن، وبعد إتقان المفسر لأحكام ترتيل القرآن لا بدّ أن يكون عالماً بالقراءات القرآنية الصحيحة.

١٠ ـ العلم بالعقيدة الإسلامية: لا بدّ للمفسر من أن يكون عالماً بالعقيدة الإسلامية وأسسها ومباحثها، وموضوعات التوحيد والإيمان وقضاياه ومسائله، لأنها هي أساس قبول الأعمال عند الله تعالى.

وعليه أن يأخذ مباحث العقيدة والتوحيد ومسائل الإيمان من آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة لرسول الله φ، وأن يلتزم بفهم الصحابة والتابعين للآيات والأحاديث، وعليه أن لا يتأثر باختلاف رجال الفِرَق المختلفة المبتدعة في مسائل العقيدة وفروعاتها كالخوارج والمعتزلة وغيرهما، بل يحرص على أن يفهم عقيدتَه وإيمانه قبل حدوث الخلاف المذهبي والكلامي بين فِرَق المسلمين المختلفة، وذلك بانتهاج ما كان على السلف الصالح في تقرير العقيدة الصافية الخالصة.

١١ ـ العلم بأصول الفقه: أصول الفقه يبين كيف تُستنبَط الأحكام الشرعية من النصوص، وقواعد أصول الفقه مرتبطة بقواعد التفسير ارتباطاً وثيقاً، ومباحث أصول الفقه مرتبطة بمباحث أصول التأويل، والأسلوب القرآني فيه الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والاطلاق والتقييد، ودلالة النص وإشارته، ودلالة الأمر والنهي.

١٢ ـ العلم بتاريخ العرب الجاهلي: العلم بأحوال العرب قبل الإسلام ضروري، لأن القرآن أشار إلى مختلف مظاهر حياتهم، وبيّن ما في حياتهم من أخطاء وانحرافات، ولما أسلموا انتقلوا نقلة بعيدة من عالم الانحدار الجاهلي إلى عالم السموّ الإيماني.

ولا بدّ للمفسر أن يتعرف على معالم حياة العرب في الجاهلية ليعرف الجوّ الذي تنزّل فيه القرآن، والموضوع الذي تتحدثُ عنه آياته.

١٣ ـ العلم بتاريخ السابقين: تحدث القرآن عن أمم سابقة، سادَتْ ثم بادَتْ، وعن أقوام بعث الله لهم رسلاً فكذّبوهم فأهلكهم، كقوم نوح و عاد و ثمود، وكقوم فرعون، واليهود الذين حاربوا عيسى عليه

السلام، وغير ذلك، وعلى المفسر أن يتعرف تاريخهم ومظاهر حياتهم وذلك ليُحسن فهم الآيات التي تتحدثّ عنهم، وتعالج انحرافاتهم، وتقيمُ الحجة عليهم.

١٤ – العلم بالمذاهب الفكرية المختلفة: على المفسر أن يكون على علمٍ بالمذاهب الفكرية السابقة الكافرة، التي قامت على الكفر بالله والشرك به، كالفكر اليوناني والفكر الروماني والفكر الفارسي والفكر الهندوسي.

وأن يكون على علم بالمذاهب الفكرية الجاهلية المعاصرة التي تنتشر في العالم المعاصر، مثل: الشيوعية، والرأسمالية، والوجودية، والديمقراطية، والاشتراكية، وما تسمى بالإنسانية، ويواجهُها بحقائق القرآن.

١٥ – الثقافة العلمية المعاصرة: على المفسر أن يلمّ بالعلوم الحديثة، وأن يكون مثقفاً ثقافةً علميةً متنوعةً شاملةً، وذلك ليعرف المعاني التي تتحدث عن الآيات العلمية وغيرها، ويوسّع معاني وأبعاد هذه الآيات.

صفات وآداب المفسر

لا بدّ للمفسر من أن يتصف بصفات أساسية، وتظهر عليه آداب ضرورية، ويتخلّق بأخلاق ربانية.

ومن تلك الصفات والآداب ما يلي:

١– أن يكون المفسر صحيح العقيدة.

٢– أن يكون ملتزماً بسنة رسول الله φ، مقتدياً به، سائراً على طريق الصحابة والتابعين والسلف الصالح.

٣– أن يكون سليم التصور، صائب الفكر، من أهل السنة السائرين على طريق رسول الله φ.

٤– أن لا يكون متأثرا بأفكار الفرق والطوائف التي خرجت عن فهم أهل السنة والسلف الصالح.

٥ – أن يكون عدلاً ثقةً عند المسلمين، مشهوداً له بالعدالة والعلم والالتزام، مؤْتَمَناً في دينه وعلمه وعمله.

٦ – أن لا يكون صاحب هوى أو غرض خبيث، وأن لا يكون صاحب بدعة، لئلا يحرف معاني آيات القرآن كي توافق هواه، أو تتفق مع بدعته.

٧ – أن يكون مخلصاً لله في عمله، ويتوجّه به إليه، ويبتغي به الأجر منه وحده، ليمنحه الله التوفيق والسداد، ويفتح عليه فهم كتابه، وأن لا يكون بعلمه مرائياً مفتخراً، يريد أن يرى الناس علْمَه.

٨ – أن يكون زاهداً في الدنيا، غير متهالك عليها، ولا متنافس لأصحابها، ولا راغب في زهرتها وحطامها و وظائفها ومراكزها.

٩ – أن يكون طالباً للآخرة، راغباً فيها، ناظراً إليها، فهذه الرغبة في الآخرة تُعينه على حسن فهم القرآن، الذي يدعوه إلى الحرص على الآخرة، والسعي إليها، والتنافس عليها.

١٠ – العمل بأحكام القرآن وتوجيهاته، والتخلّق بأخلاقه وإرشاداته، فهذا العمل يزيد علمَه بكتاب الله، ويعينه على استخراج أحكامه.

١١ – الابتعاد عن الذنوب والمعاصي والمحرّمات والمنكرات، التي تُبْعدُه عن الله، وتحجب عنه فهم كتاب الله.

١٢ – الحرص على موهبته التي وهبه الله إياها، وتوجيهُها إلى القرآن الكريم، لتدبره وفهمه، واستخراج دلالاته وأحكامه، وعدم تضييع هذه الموهبة فيما لا نفع فيه، وعدم تبديدها في الأمور غير المناسبة.

١٣ – الحذر من الموانع التي تحول بينه وبين القرآن، والحجب التي تحجب عنه حقائق القرآن، كالكبر والهوى والرياء وحب الدنيا.

١٤ – الفطنة والذكاء واليقظة والانتباه، والوعي الدائم، وحضور الذهن والعقل، والحيوية والإيجابية، والالتفاف للّمحة والإشارة، فهذا كله ضروري له للتعامل مع القرآن وحسن فهمه.

طرق التفسير

١- تفسير القرآن بالقرآن.
٢- تفسير القرآن بالسنة.
٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة .
٤- تفسير القرآن بأقوال التابعين.
٥- تفسيرالقرآن باللغة.
٦- استنباط المعاني واللطائف والدلالات.

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن

قال ابن تيمية: «إن أصحَّ الطرق في ذلك أن يُفسَّرَ القرآنُ بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر». كقوله تعالى:

{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢]، فسَّرها الرسول صلّى الله عليه وسلّم بقوله تعالى: {...إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣].

ومن صور تفسير القرآن بالقرآن:

١. تخصيص عموم القرآن بالقرآن :

ومنه قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ..)) [البقرة: ٢٣٤].فهذه الآية عامّة تدل على أن عدّة كلّ امرأة توفي زوجها عنها هي أربعة أشهر وعشرة أيام، ثم جاءت الآية الكريمة تخصص عمومها: ((وَأُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ)) [الطلاق: ٤]. فجعلت مدة عدة الحامل المتوفى عنها زوجها هي وضع حملها، سواء بلغت المدة أربعة أشهر وعشرة أيام أم لم تبلغ.

٢. تقييد مطلق القرآن بالقرآن:

نحو قوله تعالى: ((وَأَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ))[البقرة: ٢٨٢]، وقوله: ((.. فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ..)) [النساء: ٦]. فقد أطلق الشهادة في البيوع,

ولكن قيد هذا المطلق- وهو الشهادة- بآية أخرى اشترطت العدالة في الشهود: ((.. وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ..)) [الطلاق: ٢].

٣. ومن تفسير القرآن بالقرآن: بيان المجمل :

ومنه قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ ..)) [المائدة: ١]. فسره قوله تعالى: ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ..)) [المائدة: ٣].

ثانياً: تفسير القرآن

السنة: هي ما أُثِرَ عن رسول الله φ، من قول أو فعل أو تقرير، فهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ولا يجوز أن يتركَها مفسر القرآن، وهي بمفهومها العام مبيّنة للقرآن وموضحة له، تقيّد مطلَقَه، وتبيّن مجمله، وتخصص عامه، وتوضح مشكلَه.

قال ابن تيمية: «فَإِنْ أَعْيَاك ذَلِكَ فَعَلَيْك بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمُوَضِّحَةٌ لَهُ»

والقرآن صريحٌ في أن مهمة الرسول φ بيان القرآن للناس، قال تعالى:((وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون)).

وَقَالَ تَعَالَى: ((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)).

ومن أمثلة ذلك :

فسَّر رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- قَوْل الله -سبحانه وتعالى-: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجعَلُ لَهُمُ الرَّحمنُ وُدًّا)؛[٧] إذ قال: (إذا أحبَّ اللَّهُ عَبْدًا نادَى جِبْرِيلَ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبَّهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنادِي جِبْرِيلُ في أهْلِ السَّماءِ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في أهْلِ الأرْضِ).

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة

على المفسر أن ينتقل للخطوة الثالثة وهي البحث في الأقوال المنقولة عن الصحابة ϖ، فإن وجد منها أقوالاً صحيحة قال به واعتمدها في تفسير الآية.

قال ابن تيمية -رحمه الله: « إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعْتَ في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لِما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختُصُّوا بها، ولِما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم».

والمثال على ذلك: قوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) {البقرة/١٢١}

*قال ابن عباس χ: أي يتبعونه حق اتباعه، فيحلُّون حلاله، ويحرمون حرامه، ولا يُحرفونه عن مواضعه.

*قال ابن مسعود χ: والذي نفسي بيده، إن (حق تلاوته) أن يُحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرفَ الكلم عن مواضعه، ولا يتأوَّلَ شيئاً على غير تأويله.

رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : «إِذَا لَمْ تَجِدْ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ وَلَا وَجَدْته عَنْ الصَّحَابَةِ فَقَدْ رَجَعَ كَثِيرٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ إلَى أَقْوَالِ التَّابِعِينَ: كمجاهد بن جبر، الذي كان آيةً في التفسير...وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، والحسن البصري، ومسروق، وسعيد بن مسيب، وأبي عالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك، وغيرهم...»

*والأخذ بأقوال التابعين، لأنهم أعلم الناس بالتفسير بعد الصحابة ϖ.

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ((ثُمَّ السبيلَ يَسَّره))

قال السدي وقتادة: يسّر خروجه من بطن أمه.

وقال مجاهد وحسن وابن زيد: يسَّر سبيل الخير والشر.

خامساً: تفسير القرآن باللغة

ينتقل المفسر في المرحلة الخامسة إلى اللغةالعربية ,يفسر بها الآيات التي يريد تفسيرها.

قال السيوطي:" معرفة هذا الفنِّ للمفسر ضرورية "

وقال ابن عباس: " الشعر ديوان العرب, فإذا خفي علينا الحرف من القرآن-الذي انزله الله بلغة العرب- رجعنا إلى ديوانها ,فالتمسنا معرفة ذلك منه".

ومن أمثلة تفسير القرآن باللغة: قوله تعالى: ((الحمدلله ربِّ العالمين))

لمّا فسّر الإمام الطبري معنى (رب) في اللغة, ذكر أن هذه الكلمة تردُ في اللغة على ثلاثة معانٍ:

١. الربّ: السيد المطاع.

٢. الربّ: المصلح.

٣. الربّ: المالك.

واعتبر هذه المعاني الثلاثة تشملُها كلمة(الرب) التي هي اسم الله سبحانه وتعالى.

قال: "فالله رب العالمين "بمعنى "أنه السيد المطاع فيهم, والمصلح لهم بشريعته ودينه' والمالك لهم, لأنه بيده الخلقُ والأمر"

سادساً:استنباط المعاني واللطائف والدلالات

بعدما يطلعُ المفسرُ في معنى الآية على العلوم التي تحدثنا عنها في المراحل الخمس السابقة, يكون قد حقق العلم بتفسير الآية ينتقل بعد ذلكإلى مرحلة التأويل.

وفي هذه المرحلة يعملُ رأيَه', ويُعمقُ نظرتَه, ويطيلُ تدبُّره' ليُحسنَ استنباط المعاني والدلالات, واللطائف والإشارات, والحقائق والتوجيهات التي توحي بها الآية.

ومن الأمثلة على ذلك :

لما فسّر الإمام الطبري قوله تعالى: ((بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ)

قال: "يمكن جمع الأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين في الفرق بين الرحمن الرحيم في قولين:

الأول: الرحمن: يشملُ جميعَ الخلق, من مؤمنين وكافرين, والرحيم: خاص بالمؤمنين.

الثاني: الرحمن: عامٌ لرحمة الله في الدنيا والآخرة, والرحيم: خاصٌ في رحمة الله في الآخرة.

التفسير بالمأثور

تعريفه :

لغة: أثرَ يأْثُرُ, أثَرَاً : تَبِعَ أثرَهُ, وأَثَرَ الحديثَ : نقَلَهُ ورواه عن غيره.

والمأثور: الحديثُ المروي, وما وَرَثَ الخَلَفُ عن الّسلف من علمٍ وحديثٍ ورواياتٍ وغير ذلك.

اصطلاحاً: يُقصد به، تفسير القرآن اعتماداً على ما جاءَ في القرآن نفسِه من البيانِ والتفصيلِ لبعض آياته، وما نُقِلَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، وما نُقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين, من كل ما هو بيانٌ لمراد الله من نصوص كتابه.

ويسمى أيضا بالتفسير النقلي, الذي يقوم على نقل الأقوال والروايات عن السلف في تفسير القرآن.

قال الزركشي: « الحقُّ أن علمَ التفسيرِ منه ما يتوقَّفُ على النقل: كسبب النزول, والنسخ, وتعيين المبهم, وتبيين المجمل, ومنه ما لا يتوقف , ويكفي في تحصيله الثّقةُ على الوجه المعتبر».

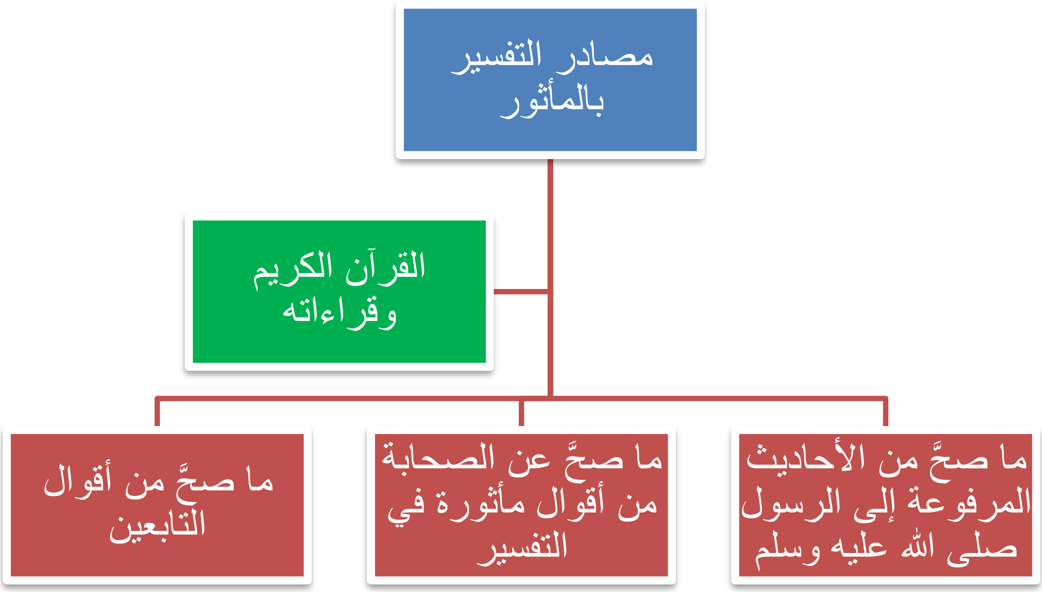

الضعف فى رواية التفسير بالمأثور وأسبابه:

علمنا مما تقدَّم أن التفسير المأثور يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيراً للقرآن بالسُّنَّة، وما كان تفسيراً للقرآن بالموقوف على الصحابة أو المروى عن التابعين. أما تفسير القرآن بالقرآن. أو بما ثبت من السُّنَّة الصحيحة، فذلك مما لا خلاف في قبوله، لأنه لا يتطرق إليه الضعف. ولا يجد الشك إليه سبيلاً.

وأما ما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف في سنده أو متنه فذلك مردود غير مقبول، ما دام لم تصح نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما تفسير القرآن بما يُروى عن الصحابة أو التابعين، فقد تسرَّب إليه الخلل، وتطرَّق إليه الضعف.

ونستطيع أن نُرجِعْ أسباب الضعف في رواية التفسير بالمأثور إلى أُمور ثلاثة:

أولاً: الوضع:

هو اختلاق الروايات في التفسير بالمأثور، ونسبتُها كذباً وزوراً إلى أعلام من الصحابة أو التابعين كابن عباس أو علي بن أبي طالب أو ابن مسعود ϖ.

- **نشأته:**

نشأ الوضع في التفسير مع نشأته في الحديث، لأنهما كانا أول الأمر مزيجاً لا يستقل أحدهما عن الآخر، فكما أننا نجد في الحديث، الصحيح والحسن والضعيف، وفي رواته من هو موثوق به، ومن هو مشكوك فيه، ومن عُرف بالوضع، نجد مثل ذلك فيما روى التفسير، ومن روى من المفسرين.

وكان مبدأ ظهور الوضع في سنة إحدى وأربعين من الهجرة، حين اختلف المسلمون سياسياً، وتفرقوا إلى شيعة وخوارج وجمهور أهل السنة والجماعة، ووجد من أهل البدع والأهواء من روجوا لبدعهم، وتعصبوا لأهوائهم، ودخل في الإسلام من تبطن الكفر والتحق الإسلام بقصد الكيد له، وتضليل أهله، فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة، ليصلوا بها إلى أغراضهم السيئة، ورغباتهم الخبيثة.

أسباب نشوء الوضع:

يرجع الوضع في التفسير إلى أسباب متعددة منها:

١ - التعصب المذهبي، فإن ما وجد من افتراق الأمة إلى شيعة تطرفوا في حب علي χ، وخوارج انصرفوا عنه وناصبوه العداء، وجمهور المسلمين من أهل السنة والجماعة الذين وقفوا بجانب هاتين الطائفتين بدون أن يمسهم شيء من ابتداع التشيع أو الخروج، جعل كل طائفة من هذه الطوائف تحاول بكل جهودها أن تؤيد مذهبها بشيء من القرآن.

٢ - اللون السياسى كان له أثر ظاهر في نشوء الوضع ، ويلاحظ أن المروي عن عليّ وابن عباس ϖ قد جاوز حد الكثرة، و قد وضع عليهما في التفسير أكثر مما وضع على غيرهما، والسبب في ذلك أن علياً وابن عباس ϖ من بيت النبوة، فالوضع عليهما يكسب الموضوع ثقة وقبولاً، وتقديساً ورواجاً، مما لا يكون لشيء مما ينسب إلى غيرهما.

٣-كذلك نجد من أسباب الوضع في التفسير ما قصده أعداء الإسلام الذين اندسوا بين أبنائه متظاهرين بالإسلام، من الكيد له ولأهله، فعمدوا إلى الدس والوضع في التفسير بعد عجزوا عن أن ينالوا من هذا الدين عن طريق الحرب والقوة، أو عن طريق البرهان والحجة.

ثانياً : الإسرئيليات:

مصطلح أطلقه العلماء على الروايات والأخبار المتعلقة بقصص السابقين، والتي لم ترد في مصادرنا الإسلامية المتمثّلة في الآيات والأحاديث الصحيحة، وهذه الإسرائيليات مأخوذة عن اليهود غالباً، وبعضها مأخوذة عن النصارى.

وقد أورد بعض المفسرين رواياتٍ وأقوالاً من تلك الإسرائيليات أثناء تفسيرهم للقرآن، وأورد بعضَ الإسرائيليات التابعون وأتباعهم ، وزاد الأمر مَنْ بعدهم من المفسرين حيث كانوا يتوسعون في إيراد الإسرائيليات بدون تحفّظ.

أسباب تسرب الإسرائيليات إلى التفسير:

إن تسرب الإسرائيليات في التفسير أمر يرجع إلى عهد الصحابة ϖ، وذلك نظراً لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل، مع فارق واحد وهو الإيجاز في القرآن والبسط والإطناب في التوراة والإنجيل، وأن الرجوع إلى أهل الكتاب كان مصدراً من مصادر التفسير عند الصحابة، فكان الصحابي إذا مر على قصة من قصص القرآن يجد في نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا الإسلام، وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص الديني.

إلا أن الصحابة ϖ لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء ولم يقبلوا منهم كل شيء، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحاً للقصة وبياناً لما أجمله القرآن الكريم منها، مع توقفهم فيما يلقى إليهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين، امتثالاً لقول الرسول φ: (لا تُصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا).

كما أنهم لم يسألوهم عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام، اللهم إلا إذا كان على وجه الاستشهاد والتقوية لما جاء به القرآن، وكذلك كانوا لا يعدلون عما ثبت عن رسول الله φ من ذلك إلى سؤال أهل الكتاب، لأنه إذا ثبت الشيء عن الرسول φ فليس لهم أن يعدلوا عنه إلى غيره، كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التي يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف، ومقدار سفينة نوح عليه السلام، نوع خشبها، واسم غلام الذي قتله الرجل الصالح الخضر . . وغير ذلك.

كذلك الصحابة ϖ لا يصدقون اليهود فيما يخالف الشريعة أو يتنافى مع العقيدة، بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شيء فأجابوا عنه خطأ، ردوا عليهم خطأهم، وبيّنوا لهم وجه الصواب فيه.

ثم جاء عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات، وأفرط بعضهم في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم وإن كان لا يتصوره العقل، واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات، والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة إلى أن جاء دور التدوين للتفسير، فوجد من المفسرين من حشوا كتبهم بالقصص الإسرائيلي، الذي كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها.

أقسام الإسرائيليات:

- تنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى أقسام ثلاثة، وهى ما يأتي:

القسم الأول: ما يُعلم صحته بأن نُقِل عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلاً صحيحاً، وذلك كتعيين اسم صاحب موسى عليه السلام بأنه الخضر، فقد جاء هذا الاسم صريحاً على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند البخاري أو كان له شاهد من الشرع يؤيده. وهذا القسم صحيح مقبول.

القسم الثاني: ما يُعلم كذبه بأن يناقض مع ما عرفناه من شرعنا، أو كان لا يتفق مع العقل، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثاني، وهذا القسم نتوقف فيه، فلا نؤمن به ولا نُكذِّبه، وتجوز حكايته، لما تقدَّم من قوله صلى الله عليه وسلم:"لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم"، وقولوا آمنا بالله وما أُنزِلَ إلينا...".

أهم التفاسير المشهورة بالإسرائيليات: تفسير مقاتل بن سليمان

التفسير بالرأي

تعريفه: الرأي: مصدر رأى-يرى- رأياً. وأساس ُاستعماله في الإبصار والرؤية والمشاهدة. رآه: أبصره بعينه. ويستعملُ في الاعتقاد والتفكير والنظر.

وعرَّف الذهبي التفسير بالرأي: «عبارةٌ عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفتِه للألفاظ العربية، ووجوهِ دلالتها، واستعانتِه بالشعر الجاهلي، ووقوفِه على أسباب النزول، ومعرفتِه بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاجُ إليها المفسر».

ويَرِدُ للرأي مصطلحاتٌ مرادفةٌ، وهي: التفسير العقلي، والتفسير النظري.

ويسمى التفسير العقلي, لأنه يقومُ على إعمال العقل والتفكير في التفسير, في مقابل التفسير النقلي الذي يقوم على نقل الروايات المأثورة في التفسير.

ويسمى بالتفسير النظري, لأنه ينتج عن النظر العميق في القرآن لاستخراج الأحكام والدلالات, في مقابل التفسير الأثري القائم على الأثر والنقل.

التفسير بالمأثور فى مقابل التفسير بالرأى أو التفسير العقلى فى مقابل التفسير النقلى أو التفسير النظرى فى مقابل التفسير الأثرى.

موقف العلماء من التفسير بالرأي

اختلف العلماء في جواز التفسير بالرأي:

- فمنهم من منعه مطلقاً, واعتبره قولا بدون علم, ومنهياً عنه, ومن فعله فهو آثم.
- ومنهم من أباحه مطلقاً, وأجاز لكل إنسان أن يفسِّر القرآن برأيه وعقله ونظره واجتهاده.

تحدث العلماء عن هذا الاختلاف, وبسطوا أدلة المانعين والمجيزين. نهم أبو حيان الأندلسي في مقدمة تفسيره (البحر المحيط), والإمام الشاطبي في كتابه (الموافقات), وخالد العك في (أصول التفسير وقواعده). وغيرهم.

أولاً: من أدلة المانعين للتفسير بالرأي

١.التفسيرُ بالرأي قولٌ على الله, وهذا منهيٌّ عنه في القرآن الكريم فهو محرم. قال تعالى: ((وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)). الإسراء: ٣٦

٢. جعلَ الله بيانَ القرانِ لرسوله صلى الله عليه وسلم, وهذا يعني أنه لا يجوز لغيره أن يُفسِّرَ القرآن برأيه. قال تعالى: ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)) النحل: ٤٤.

٣. استدَّلوا بما ورد في السُّنَّة من تحريم القول في القرآن بالرأي فمن ذلك:

أ - ما رواه الترمذي عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم، فمَن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومَن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.

ب-ما رواه الترمذي وأبو داود عن جُندب أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ".

٤. ورودُ آثار عن الصحابة والتابعين ينهون فيها عن التفسير بالرأي.

ثانياً: من أدلة المجيزين

١.دعا اللهُ عبادَه إلى تدبر القرآن, أي النظرُ في آياته, وإعمال العقل فيه, وترداد الرأي في نصوصه. قال تعالى: ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)) محمد: ٢٤, ((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)) (ص/٢٩).

٢.لو كان التفسيرُ بالرأي غيرَ جائز لما كان الاجتهاد جائزاً, وهذا يعني تعطيلُ الأحكام , وإلغاءُ دور العقل في فهم القرآن.

٣. دعاءُ الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما أن يعلّمهُ اللهُ التأويل. حيث قال: "اللّهم فقّهه في الدين وعلِّمه التأويل" فلو كان التأويل مقصوراً على السماع والنقل كالتنزيل، لما كان هناك فائدة لتخصيص ابن عباس بهذا الدعاء، فَدَلَّ ذلك على أن التأويل الذى دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس أمر آخر، ذلك هو التفسير بالرأي والاجتهاد.

الراجح

التفسير بالرأي جائز ومطلوب, أذا انطبقت فيه الشروط الضرورية لصحته وصوابه وقبوله.

قال الراغب الأصفهاني - بعد أن ذكر المذهبين وأدلتهما: "وذكر بعض المحققين: أن المذهبين هما الغلو والتقصير، فمَن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه، ومَنْ أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرَّضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى: {ليدبروا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ الألباب} .

التفسير بالرأي نوعان:

- النوع الأول: الرأي المحمود المقبول: وهو الرأي الذي يقوم على أسس منهجية، وهو جار على موافقة كلام العرب، ومناحيهم في القول، مع موافقة الكتاب والسُنَّة، ومراعاة سائر شروط التفسير، وهذا القسم جائز لا شك فيه، وعليه يُحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي.
- النوع الثاني: الرأي المذموم المردود: وهو القائم على الهوى أو الجهل. وهو غير جار على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير، وهذا هو مورد النهى ومحط الذم.

شروط التفسير بالرأي المحمود -الجائز-

١- أن يلمّ المفسر بالعلوم الأساسية التي لا بدّ منها، ليحسنَ فهم القرآن الكريم وتفسيره وبيان معانيه.

٢- أن يتصف المفسر بالصفات الضرورية للمفسر، وأن يتأدب بالآداب التي لا بدّ منها له.

٣ – أن يتجنب الأخطاء التي نبّه عليها العلماء، وأن يحرص على عدم الوقوع بها أثناء تفسيره للقرآن.

٤- أن يتخلّى عن الهوى في تفسيره وإعمال رأيه، لأن الهوى يحجبُه عن حسن فهم القرآن، ويقوده إلى الوقوع في الخطأ.

٥- أن لا يخالف في تفسيره آيات القرآن الأخرى، وأن لا يتعارض رأيه مع مقررات الآيات الأخرى.

٦- أن لا يخالف في تفسيره الأحاديث الصحيحة عن رسول الله φ، وأن لا يقررَ آراء تتعارض مع ما تقرره تلك الأحاديث.

٧- أن لا يتعارض في تفسيره مع معاني اللغة العربية، وأن لا يفسر ألفاظَ وتراكيبَ القرآن تفسيراً يخالف معاني اللغة واستعمالاتها وتصريفاتها.

٨- أن لا يكون متأثراً بالأفكار والمذاهب المخالفة والمعادية، التي يعتنقها الكفار، وأن لا يكونَ مهزوماً نفسياً أمامهم.

٩- أن لا يجزم بأنّ ما يقدمه من تفسير بالرأي هو مراد الآيات، ولا يقطع بأن هذا مقصودها، وعليه أن يُقدِّمَ رأيه ونظره بتواضع وأدب، بخوف ووجل، وأن يقول: هذا ما فهمتُه، وهذا ما فتح الله به عليّ، وقد يقول غيري خيراً مما قلت.

ذكر محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون أموراً خمسة يجب على المفسر أن يتجنّبها في تفسيره، حتى لا يخطئ، وهي:

١ – التهجم على بيان مراد الله تعالى من كلامه، مع الجهل بقوانين اللغة وأصول الشريعة، وبدون أن يُحصِّل العلوم الضرورية للتفسير.

٢ – الخوض في ما استأثر الله بعلمه، كأشراط الساعة ومشاهد القيامة.

٣ – السير مع الهوى والاستحسان، فلا يُفسِّر بهواه ولا يُرَجِّح باستحسانه..

٤ – التفسير المقررُ للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً، فيحتال في التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته، ويرده إلى مذهبه بأي طريق أمكن.

٥– التفسير مع القطع بأن مراد الله كذا وكذا من غير دليل، وهذا منهي عنه شرعاً, لقوله تعالى: {وَأَن تَقُولُواْ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ}.

أشهر المفسرين بالرأي المحمود

١. الفخر الرازي صاحب تفسير: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير

٢. عبدالله بن عمر البيضاوي صاحب تفسير: أنوار التنزيل وأسرار التأويل

٣. عبدالله بن أحمد النسفي صاحب تفسير: مدارك التنزيل وحقائق التأويل

٤. علي بن محمد الخازن صاحب تفسير: لباب التأويل في معاني التنزيل

٥. محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي صاحب تفسير: البحر المحيط

٦. الحسن بن محمد النيسابوري صاحب تفسير: غرائب القرآن ورغائب الفرقان

٧. محمد بن محمد الخطيب الشربيني صاحب تفسير: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير

٨. محمد بن محمد أبو السعود العمادي صاحب تفسير: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم

٩. محمود أفندي الآلوسي صاحب تفسير: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني

اختلاف المفسرين

الخلاف بين السلف من الصحابة والتابعين في التفسير قليل جدا، وهو في التابعين أكثر منه في الصحابة, وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان أكثر.

وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى «اختلافُ تنوع لا اختلافَ تضاد»، بمعنى أن الصحابة والتابعين لم يذكروا في التفسير أقوالاً متناقضة متضادة, بل كان اختلافُهم في التفسير اختلافَ تنوع, بحيث يذكر أحدهما قولاً في تفسير الآية , ويذكر الآخر قولاً ثانياً. فالقولان مختلفان, لكنهما ليسا متضادين, وإنما متكاملان, فكل منهما ينطبق على جزء من معنى الآية, ويحقق نوعا من أنواع دلالتها, والجمع بينهما ممكن, والقول بهما مطلوب.

وذكر ابن تيمية رحمه الله صنفين لاختلاف التنوع بين السلف :

الأول: أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى بمنزلة الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة .

والتكافؤ: هو وسط بين الترادف والتضاد. وهو وجود لفظين مختلفين في الاشتقاق, لكنهما يدلان على معظم المعنى – لا يدل كل واحد منهما على كل المعنى كما في الترادف , ولا يختلفان في الدلالة كما في التضاد- وبين اللفظين المتقاربين فروق قليلة. كـ (الرسول والنبي).

ومن الأمثلة على اختلاف التنوع ما أورده الإمام ابن كثير -رحمه الله- من اختلاف السلف في تفسير قوله تعالى:(إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)، :

١ – قال الحسن البصري: هم في شغل عما فيه أهل النار من العذاب.

٢ – قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: هم في نعيم فرحون معجبون به.

٣ – قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب وعكرمة وقتادة والأعمش وسليمان التميمي والأوزاعي: شغلهم في الجنة بحور العين.

فالأقوال الثلاثة مختلفة في تحديد الشغل الذي فيه المؤمنون في الجنة, لكن اختلافها من باب التنوع لا التضاد

ومن الأمثلة على اختلاف التنوع, اختلاف الصحابة والتابعين في المراد بـ(الصراط المستقيم) في قوله تعالى:((اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ))

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ الطبري: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ "الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.

وَكَذَلِكَ فِي لُغَةِ جَمِيعِ الْعَرَبِ، .... ثُمَّ تَسْتَعِيرُ الْعَرَبُ الصِّرَاطَ فَتَسْتَعْمِلُهُ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وُصِفَ بِاسْتِقَامَةٍ أَوِ اعْوِجَاجٍ، فَتَصِفُ الْمُسْتَقِيمَ بِاسْتِقَامَتِهِ، وَالْمُعْوَجَّ بِاعْوِجَاجِهِ. ثُمَّ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ فِي تَفْسِيرِ الصِّرَاطِ، وَإِنْ كَانَ يَرْجِعُ حَاصِلُهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْمُتَابَعَةُ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ..

ومن الأقوال التي وردت في معنى (الصراط المستقيم):

١- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ كِتَابُ اللَّهِ ". أي القرآن الكريم. لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث علي الذي رواه الترمذي، ورواه أبو نعيم من طرق متعددة: " هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم "

٢- قَال ابْنِ عَبَّاسٍ: (اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم). اهْدِنَا الطَّرِيقَ الْهَادِيَ، وهو دِينُ اللهِ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ.

٣- وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} قَالَ: الْإِسْلَامُ.

وغير ذلك من الأقوال المختلفة التي فيها اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. بأن ذكر كل واحد قولا يقارب ويكافئ ما قاله الآخرون. وكل قول تناول نوعا من أنواع الصراط المستقيم. ومجموع الأقوال يدل على معنى الصراط المستقيم

الثاني- أَنْ يَذْكُرَ كُلٌّ مِنْهُمْ مِنَ الِاسْمِ الْعَامِّ بَعْضَ أَنْوَاعِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ وَتَنْبِيهِ الْمُسْتَمِعِ عَلَى النَّوْعِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْحَدِّ الْمُطَابِقِ لِلْمَحْدُودِ فِي عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ مِثَالُهُ مَا نُقِلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } .

فبعضهم فَسَّر السابق بمن يصلَى في أول الوقت، والمقتصد بمن يصلَى في أثنائه، والظالم بمن يصلى بعد فواته. وبعضهم فسَّر السابق بمن يؤدى الزكاة المفروضة مع الصدقة، والمقتصد بمن يؤديها وحدها، والظالم بمانع الزكاة، فكل من المفسّرين ذكر فرداً من أفراد العام على سبيل التمثيل لا الحصر.

وهذا الاختلاف في ذكر المثال لا يؤدى إلى التباين والتناقض بين الأقوال، إذ من المعلوم أَنَّ الظَّالِمَ لِنَفْسِهِ يَتَنَاوَلُ الْمُضَيِّعَ لِلْوَاجِبَاتِ وَالْمُنْتَهِكَ لِلْحُرُمَاتِ , وَالْمُقْتَصِد يَتَنَاوَلُ فَاعِلَ الْوَاجِبَاتِ وَتَارِكَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالسَّابِقُ يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ سَبَقَ فَتَقَرَّبَ بِالْحَسَنَاتِ مَعَ الْوَاجِبَاتِ.

ومن أسباب الخلاف الواقع بين المفسرين:

١- اختلاف القراءات:

ومن الأمثلة : على الاختلاف القراءات: قوله تعالى: (لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ).

في قوله تعالى (سُكرَتْ) قراءتان صحيحتان:

الأولى: قراءة ابن كثير المكي: (سُكِرَتْ) بتخفيف الكاف المكسورة، فيكون معنى الكلمة: سحرت. أي: سحرت أبصارنا, وحبست عن الرؤية, ومنعت من النظر.

الثانية: قراءة التسعة الباقين: (سُكِّرَتْ) بتشديد الكاف، فيكون معنى الكلمة: سُدّت وغطيت وأُغشيت. أي: يقول الكفار: لقد سدّت وأُغلقت أبصارنا, فنحن لا نرى بسبب إغلاقها وسدِّها وتسكيرها.

٢- اختلاف وجوه الإعراب:

ومن الأمثلة: قوله تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) في هذه الآية قراءتان صحيحتان:

الأولى: قراءة ابن كثير: (فَتَلَقَّى آدَمَ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٌ فَتَابَ عَلَيْهِ) بنصب (آدمَ) ورفع (كلماتٌ) ومعنى الآية يكون: الكلمات هي التي تلقّت آدمَ عليه السلام، وتوجهت إليه لتحميه من الشيطان والهلاك, بأمر الله, وكانت له حصناً من الشيطان.

الثانية: قراءة الباقين: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) ومعنى الآية يكون: آدم عليه السلام تلقى كلماتٍ طيبة، أوحى الله تعالى له بها، ليقولها تائباً نادماً على ما فعل، عندما أكل من الشجرة.

وهذه الكلمات مذكورة في سورة الأعراف (قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

ولابد من الجمع بين الإعرابين الصحيحين, فيقال: رحم الله آدم لما أكل من الشجرة, ولم يتركه للشيطان, فأوحى له بكلمات طيبة, وتوجهت هذه الكلمات إليه, واتصلت به, واستقبلته, ودعته إليها. ففرح آدم عليه السلام بهذه الكلمات التي تلقته, وفهم ماذا تعني له, وأنها هبة من الله ورحمة منه إليه, فتجاوب معها, وأخذها وتلقاها ونطق بها .

٣-الاختلاف في المعنى اللغوي للكلمة:

ومن الأمثلة: لفظ (الحوارين) في قوله تعالى: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) أطلق لقب (الحواريين) في القرآن الكريم على أنصار عيسى عليه السلام. فما معنى الحواريين؟ ولماذا سُمُّوا بذلك؟

اختلف المفسرون في سبب تسميتهم بالحواريين:

١- فقال بعضهم : سموا بذلك لبياض ثيابهم.

٢- وقال آخرون : كانوا قصَّارين يبيضون الثياب.

٣- وقال بعض العلماء: إنما كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس من الحيرة, وقيادتهم إلى الحق.

٤-وقالوا : هم خاصة الأنبياء الذين نصروهم.

٥- وقال بعض العلماء: إنما سموا حواريّين لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بإفادتهم الدين والعلم .

وأصل مادة (حور) في اللغة : هو التردد والرجوع, الذي يقود إلى الصفاء والنقاء والحسن والجمال, وهذا يتحقق في تحوير الثوب : تبييضُه الذي يعني المبالغة في صفائه ونقائه. والحواريُّ هو الناصر, لأنه انتُقيَ من بين الآخرين, وهو لن يكون حوارياً إلا إذا بلغ الذروة من النقاء والصفاء والطهارة.

وكلّ هذه المعاني متحققة في (الحواريين) أنصار عيسى عليه السلام: فأساس حياتهم قائم على الخلوص والصفاء والنقاء, فهم لصفاء نفوسهم وقلوبهم رجعوا إلى الحق المتمثل في دين عيسى عليه السلام. وكانوا موصوفين بالنقاء في مظهرهم الخارجي المتمثل بملابسهم البيضاء الصافية, وهم نصروا عيسى عليه السلام, وبذلك كانوا أنصار الله, واختيروا بين الناس لهذه المهمة العظيمة.

رجح الإمام الطبري القول الأول. لأن (الحواريين) مشتقة من (الحور) وهو عنده شدة البياض.

بينما رجح الإمام ابن كثير أنهم سُمُّوا بذلك لأنهم نصروا عيسى عليه السلام, لأن الحواريَّ عنده هو الناصر.

واستدل ابن كثير بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصارُ اللَّهِ)), واستدل بقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (إنَّ لكلّ نبيِّ حواريّاً , وحواريَّ الزبير)).

ومن الأمثلة أيضاً: كلفظ (مخلدون) من قوله تعالى: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) .

١- قيل معناه: لا يهرمون أبدا. يقال للذي أسن ولم يشب كأنه مخلد .

٢- وقيل: أنهم على سن واحد لا يتغيرون.

٤- الاختلاف في المشترك اللفظي:

المقصود بالمشترك هو: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

نحو : (الصريم), من قوله تعالى: (فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ), فيه أربعة أقوال:

١. أصبحت كالليل, لأنها أسودت لما أصابها, والصريم في اللغة : الليل.

٢. أصبحت كالنهار, يقال : صريم النهار.

٣. الصريم : الرماد الأسود .

٤. أصبحت كالمصرومة أي المقطوعة.

٥- الاختلاف بسبب احتمال الإطلاق والتقييد :

تحدث القرآن عن الكفارات, وجعل من بعض الكفارات عتق رقبة. وهذه الرقبة مطلقة في موضع, ومقيدة في موضع آخر. قال تعالى : (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) ففي هذه الآية جاءت الرقبة مطلقة, ولم توصف بأيّ وصف, ليكون قيداً لها.

أما في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ) فقد جعل الله كفارةَ القتل الخطأ عتقَ رقبة مؤمنة, فالرقبة في هذه الآية مقيدة بالإيمان.

لا خلاف في أنّ الرقبة المعتقة في كفارة القتل لا بد أن تكون مؤمنة, لأن الآية صريحة بذلك.

واختلافهم إنما كان في عتق الرقبة في كفارة الظِّهار, فهل يُشترط أن تكون مؤمنة أم لا؟

١- ذهب الشافعي ومن معه إلى أنه لا بد من أن تكون الرقبةُ في كفارة الظهار مؤمنة, ولا يجوز للمُظَاهِرِ أن يعتق رقبة كافرة. ودليله : حمل المطلق في كفارة الظهار(فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) على المقيد في كفارة القتل: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ). وحجة الشافعي في هذا اتحادُ الكفارتين في الحكم الواجب, وهو عتق الرقبة.

٢- وذهب أبو حنيفة ومن معه إلى أنه لا يشترطُ الإيمانُ في الرقبة المعتقة في كفارة الظِّهار, ويجوز للمظاهر أن يعتق رقبة كافرة.

فلم يحمل أبو حنيفة ومن معه الإطلاق في الرقبة على التقييد في كفارة القتل, لاختلاف السبب في الحالتين. ولذلك يبقى الإطلاق في كفارة الظهار على إطلاقه, ويبقى التقييد في كفارة القتل على تقييده.

٧- الاختلاف بسبب احتمال العموم والخصوص.

بعض ألفاظ القرآن عامة، وبعضها خصص ، وبعضها بقي على عمومه ، كقوله تعالى: (إنّ الله لا يظلمُ الناسَ شيئاً) فهذا يشمل الناس جميعاً ، ومعلوم أن الله لا يظلم أحدا ، لقوله تعالى: (ولا يظلمُ ربُّكَ أحداً).

وبعض ألفاظ القرآن يُرادُ بها الخاص، ولا تبقى على عمومها. كما في قوله تعالى: (فنادتهُ الملائكةُ وهو قائمٌ يُصلّي في المحرابِ أنَّ الله يُبشرُكِ بيحيى).فلفظ الملائكة عامّ، لكنه يراد به الخصوص، فالذي نادى زكريا عليه السلام هو جبريل عليه السلام.

وهناك لفظ عام في القران، اختلف المفسرون فيه: هل بقي على عمومه ،أم يُراد به الخصوص ؟وإذا كان يراد به الخصوص فالمرادُ به؟

وذلك في قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ). الناس في الآية من صيغ العموم.

قال المفسرون (الناس) في الآية لفظ لم يبق على عمومه, وإنما يراد به الخصوص, واختلفوا في الخاص المراد به:

١- قالوا المراد بالناس هنا: النبي صلى الله عليه وسلم، وأطلق عليه لأنه جامع لجميع صفات الناس الحميدة

والمعنى: أن اليهود حسدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله, وهو النبوة.

٢- وقالوا المراد بالناس: العرب , الذين أسلموا واتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم.

والمعنى: حسد اليهود الأمةَ المسلمة لأن الله بعث فيها الرسولَ الخاتمَ وآتاها الرسالة العظيمة.

٧-الاختلاف بسبب احتمال الحقيقة والمجاز.

الحقيقة: هو اللفظُ المستخدمُ فيما وضع له.

المجاز: هو اللفظ المستخدم في غير ما وضع له، مع وجود قرينة تدل على ذلك.

وقد اختلف العلماء في القول بالمجاز ، فقال به جمهور العلماء والمفسرين. ومنعه بعض العلماء والمفسرين، وعلى رأسهم الإمام ابن تيمية، وابن القيم.

ومن الأمثلة قوله تعالى: (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا).

نسبت الآيةُ إلى الجدار إرادةَ الانقضاضِ والسقوط, والجدارُ جماد, والإرادة شعورٌ يصدرُ عن الحيّ

* فقال بعض المفسرين كـ (الرازي- الزمخشري- البيضاوي- النسفي): نسبة الإرادة إلى الجدار من باب المجاز, والمعنى: وجدا جدارا على وشك السقوط.

* وقال آخرون كـ(ابن تيمية- ابن القيم): لا مجاز في الآية, وللجدار إرادة تليقُ به باعتباره جمادا, وهو بمعنى الميل, فميل الحيِّ ميلٌ مع الشعور, وميلُ الجمادِ ميلٌ لا شعورَ فيه.

- وذكر الإمام الطبري اختلاف أهل العلم في معنى نسبة الإرادة إلى الجدار في الآية :

١. فقال بعضهم: ليس للجدار إرادة , ولكن إرادته هي الحالُ التي هو عليها من قرب السقوط.

٢. وقال آخرون منهم: إنما كلم القرآن القوم بما يفهمون ويعقلون، قال: وذلك لما دنا من الانقضاض، جاز أن يقول: يريد أن ينقض، قال: ومثله (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ) وقولهم: إني لأكاد أطير من الفرح، وأنت لم تقرب من ذلك، ولم تهم به، ولكنك تريد الإشارة إلى أن الأمر عظيم.

٨- الاختلاف بسبب احتمال الاضمار أو الاستقلال.

من أسباب اختلاف المفسرين اختلافهم في معنى الآية، هل تؤخذُ على ظاهرها وصياغتِها, أم لابد من تقديرِ كلمةٍ مقدّرة مضمرة؟

الاستقلال يعني فهمَها كما هي بدون تقديرٍ لكلمات مقدرة, والإضمارُ يعني أن تُقدَّر كلمةٌ مضمرة لحسن فهم الآية.

من الأمثلة, قوله تعالى عن المنافقين: (يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ).

اختلف المفسرون في تفسير لفظة : (يُخَادِعُونَ اللهَ ...):

١. فمنهم مَنْ فهمها على الاستقلال , أي أخذها على ظاهرها. وقال: المنافقون خادعوا الله, والله خادعهم.

وصورة صنيعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون, وصورة صنيع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم في الدرك الأسفل من النار, وصورة صنيع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله تعالى فيهم فأجروا ذلك عليهم, تشبه صورة المخادعة.

٢. ومنهم مَن فهمها على الإضمار. أي : تقدير كلمة مضمرة. قالوا: يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا.

والذي دفعهم إلى تقدير لفظة (رسول) لتصح مخادعة المنافقين له, باعتباره بشراً , أما الله سبحانه وتعالى فإنه لا يُخادع

٩- الاختلاف بسبب احتمال زيادة الكلمة.

اختلف المفسرون والنحويون في موضوع الزيادة في القرآن . فذهب بعضم إلى أنّ بعضَ الحروفِ والأسماءِ زائدة في التعبير القرآني, ورفض بعضُهم القولَ بالزيادة, واعتبروا ورودَ الكلمة على ما وردت عليه في الجملة القرآنية لحكمة معنوية وأسلوبية, وهذا وفق أساليبِ البيان والتعبير في القرآن, وهو مظهر من مظاهر إعجازِ القرآن.

ومن الأمثلة على الاختلاف في احتمال الزيادة وعدمها قوله تعالى: (لا أُقسمُ بيومِ القيامةِ*ولا أُقسمُ بالنَّفسِ اللوامةِ)

ذكر الأمام الطبري اختلاف المفسرين في تفسير الآية, قال: اختلف أهل التأويل في معنى : (لا أُقسمُ بيومِ القيامةِ):

أ- فقال بعضهم : "لا" صلة، أي زائدة. ومعنى الكلام: أقسم بيوم القيامة.

ب- وقال آخرون: "لا" جيءَ بها لتوكيدِ القسم. كقولك: لا. والله.

ت- وقال آخرون: "لا" ردُ لكلام المشركين الذين ينكرون البعث في السورة السابقة. وبعدها كلام مستأنف جديد, قرر الله فيه أنه يقسم بيوم القيامة.وقالوا: كلّ يمين قبلَها ردٌّ لكلامٍ، فلا بدّ من تقديم "لا" قبلها، ليفرق بذلك بين اليمين الإنكار، واليمين المستأنفة.

وعلى هذا القول يكون الله قد أقسم بيوم القيامة، وأقسم بالنفس اللوّامة.

ورجح الإمام الطبري هذا القول والتقدير: لا. ليس الأمر كما زعمَ المشركون أنه لا بعث, وأقسم الله على ذلك بيوم القيامة, كما أقسم عليه بالنفس اللومة.

١٠- الاختلاف بسبب احتمال التقديم والتأخير في معنى الآية:

من الأمثلة على ذلك قولُه تعالى: (إذ قال اللهُ يا عيسى إنِّي مُتَوفِّيكَ ورافعُك إليَّ...)

اختلف المفسرون في توجيه معنى الآية:

أ – فمنهم من قال : في الآية تقديم وتأخير في المعنى. فالرفع مُقدّم في الواقع على التوفّي, فقد رفعه إليه, وهوحيٌّ في السماء حياةً خاصة, وسوف ينزلّه الله في آخر الزمان, ثم يتوفاه بعد ذلك.

وتقدير معنى الآية عندهم: إني رافعُك إليَّ, ومتوفيك.

ب- ومنهم من قال : ليس في معنى الآية تقديمٌ وتأخير, وتُؤخذ على ظاهرها. فالله توفى عيسى عليه السلام, ثم رفعه بعد ذلك.

والتوفّي عند هؤلاء ليس بمعنى الموت, لأن عيسى حيٌّ في السماء, وإنما التوفّي بمعنى القبضِ والنوم. فالله ألقى النومَ على عيسى عليه السلام, ثم رفعه وهو نائم.

ورجح هذا القول كثير من المفسرين. وقالوا هذا كقوله تعالى: (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجلٌ مسمى). وقوله تعالى: ((الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيُمسك التي قضى عليها الموتَ ويُرسلَ الأخرى إلى أجل مسمى)).

١.
٢.
٣.